الاتجاهات الحديثة في الدراسات القرآنية عند المستشرقين ،علم التفسير نموذجا.

أم د. عبدالرزاق رحيم صلال

جامعة البصرة ـ كلية الآداب .

Razzaqalharby2@gmail.com

ملخص البحث تكاد تجمع الاتجاهات الحديثة لمدرسة الاستشراق الغربي في دراسة علم التفسير على تبنيها للاتجاهات المنحرفة عبر مسيرة تاريخ هذا العلم . ناهيك عن استعمالها منهجا غريبا عن علم التفسير استنبطوه من دراساتهم للكتاب المقدس ، في محاولة منهم لإسقاطه على آيات القرآن الكريم . متناسين البون الشاسع بين النصين القرآني (والتوراتي والانجيلي)والأخير ما هو إلا روايات شفاهية ، وسرد لأحداث تاريخية ودينية واجتماعية دونها كتاب الاناجيل الأربعة في فترات زمانية متباعدة عن عصر النزول . وبالتالي لا يمكن استعمال منهج لا تتطابق آليات أدواته على نصوص مقدسة واخرى غير مقدسة . كما أن تفسيرهم لنصوص القرآن الكريم ـ كسور وآيات والفاظ ـ تنم عن جهل باللغة العربية وتاريخها . مع اعتمادهم على مصادر وروايات شاذة دون المصادر الأصلية المعتمدة ، مما أوقعهم في مغالطات وشكوك مريبة هدفها النيل من الحقيقة العلمية والأمانة الموضوعية التي يجب أن يتحلى بها الباحث المنصف .

الكلمات المفتاحية : مناهج التفسيرInterpretation Method

علم التفسيرThe science of interpretation

نظرية تاريخية النص المقدس Historical theory of the sacred text

المقدمة : يهدف الاستشراق المعاصر في بعض أوجه نشاطاته ودراساته الى التطاول على الاسلام كدين وعقيدة ، مركزا اهتماماته على دستور المسلمين القرآن الكريم وتفسيره . ومنذ منتصف القرن التاسع عشر ومن خلال سياسة ابتعاث الطلبة العرب المسلمون للجامعات الأوربية والأمريكية بهدف الحصول على الشهادات العليا في شتى ضروب العلوم ، ومنها العلوم الانسانية ، ومن ضمها العلوم الشرعية . درس طلبتنا على أيدي المستشرقين ، فنهلوا من أفكارهم ومعين نظرياتهم الهادفة الى طمس الهوية الاسلامية عبر أفكار ودراسات وتحليلات مغلوطة ومدسوسة عن التراث الاسلامي ككل ، لإبعاد المسلمين عن عقيدتهم الحقة ، والتشكيك بكتابهم المنزل . لأنهم رأوا في القرآن ما يوحد المسلمين في شرق الأرض وغربها ، مما يقف حائلا دون تحقيق أطماعهم في بسط سيطرتهم ونفوذهم على بلاد المسلمين .

لقد نظروا الى القران كأثر أدبي محض ، تقع منزلته دون التراث العربي القديم ، مع نكرانهم لربوبية القرآن . فعمدوا الى دمجهم في دراساتهم المتصلة بالقرآن ضمن مؤلفاتهم عن تاريخ الأدب العربي .(١)

وأقدم سادة الفكر والسياسة الغربيون الى وضع مخطط علمي لمجالات التطاول على الاسلام والمسلمين ، فعدت ظاهرة ملموسة اتسمت بها نشاطاتهم تجاه الشرق وحضارته وتراثه ومعتقداته. فبدأوا التعرف على واقع المسلمين الحي من خلال زياراتهم المتكررة للبلاد العربية والاقامة فيها ، وحضور فعالياتهم الاجتماعية ، والاطلاع على نظامهم التعليمي وسائر أنشطتهم المختلفة . ومن ثم بدأوا برسم مخططهم وتنفيذه على أرض الواقع من خلال (سياسة التعليم الجامعي والأنشطة الأكاديمية وعقد الندوات والمؤتمرات التي ركزوا فيها على مناهج ومواد دراسية تشوه حقيقة القران وتنال من العلوم والحقائق التي رصدتها آياته الكريمة . معتمدين على كتاب عرب متأثرين ومتبنين للفكر الغربي المناهض للإسلام ، بهدف خلق فكر سياسي معاصر مغاير لما رسمته لنا ثوابتنا العقدية . فعمدوا الى اخضاع القرآن الى منهجهم الاستشراقي المحض المادي في تأويل القرآن مركزين على فقه اللغة من زاوية فلسفية وابستمولوجية بهدف الكشف عن القوانين التي تحكم اللغة واستعمالاتها بمعنى فهم المنطق الذي يحكم اللغات من أجل ضبط المعنى أو الدلالة . مما مكنهم من اختلاق الفرضيات والنظريات التي استخلصوا منها ما يشاؤون من نتائج تجانب الصواب . (٢)

المبحث الأول : أهمية علم التفسير النصراني ومراحل تطوره .

أولا : تعريف علم التفسير عند النصارى .

يقصد بالتفسير التطبيقي للكتاب المقدس معرفة وفهم كلمة الله واكتشاف ما بها من مبادئ روحية خالدة ، من خلال الفهم والتجاوب مع التعليم الالهي . (٣) .

ان كلمة التفسير يقابلها بالإنجليزية لفظ Hermeneutics ذات الأصل اليوناني ، ومصدرها الفعلي Hermenein ، ولها معان ثلاث سواء كانت اسما أو فعلا ، وهي:

المعنى الأول : كلمة التفسير بمعناها الواسع هي الكيفية التي نجعل الأمر غير الواضح واضحا . وبهذا المعنى استخدمها اليونانيون عندما كان المتصلون بالآلهة يفسرون مراد الآلهة التي كانت لها ارادة سرية غامضة على معتنقيها تفسيرها . لذلك سمي (هرمس) مفسر الآلهة . أو المتكلم عنها . يقول الفيلسوف اليهودي (فيلو) عن هارون إنه كليم ومفسر موسى .(٤)

المعنى الثاني : التفسير بمعنى الترجمة عند اليونانيين . ، أي النقل من لغة الى لغة أخرى . وقد وردت الكلمة العبرية (سلوام) في انجيل متى بمعنى (تفسر) أو (مرسل) (اذهب واغتسل في بركة سلوام) أي الرسول كما وردت بذات المعنى في (ومرقس١٤١/٥ ، ويوحنا ٣٣/١) (٥)

ويعتقد الباحث لويس صليبا أن علم التفسير هو بمثابة مسعى صحيح تجاه القرآن ولا يمكن له بتاتا أن يكون نقدا .(٦)

ويعد القرآن الكريم موضوع علم التفسير ، أما هدفه فهو فهم مقاصد القرآن الكريم ، وتوضيح مفاهيمه . ويرى أصحاب نظرية التفسير الجديد أن كلمة التفسير يجب أن تدخل في صلب عملية التفسير ، بالمعنى الجديد ، غير المعنى التقليدي لها ، بالمعنى المفاهيمي الحضاري لها ، فالله عندما تكلم في الكتاب المقدس صاغ علامة في مفاهيم حضارية وزمنية تختلف عن حضارة العصر الذي نعيش فيه الآن . وعلى المفسر أن ينقل هذه الرسالة من حضارة الى أخرى . ومن مفاهيم ماضية الى مفاهيم يفهمها انسان العصر الحاضر أخرى . كما فعل يوحنا عندما نقل الرسالة اليهودية ووضعها في مفاهيم يونانية مثل (النور، الحق ، الكلمة) فالترجمة لا تنصب على اللغة بل على المفاهيم العقلية حتى تصل كلمة الله للإنسان . (٧)

المعنى الثالث : تأتي كلمة تفسير بمعنى (شرح) أي توضيح ما هو غامض يرد في عبارة أو نص . وقد وردت بهذا المعنى في قصة المسيح مع تلميذي (عمواس) في انجيل لوقا ٢٤/٢٧)عندما أخذ المسيح (يفسر لهما منطلقا من موسى ومن الانبياء جميعا ما ورد عنه في جميع الكتب) بعد ان جهل التلميذان مضمون الكتب المشار اليها في الآية . (المصدر السابق /١١)ويرجع الباحثون ظهور علم التفسير الحديث الى (شلرماخر) مؤسس الحركة التفسيرية الجديدة . سواء كانت لاهوتية أو فلسفية أو دينية . حيث تحول على يديه علم التفسير من مجرد شرح للنص شرحا لغويا يبين معنى الكلمات والجمل الى معناها الحالي وهو (الفهم) الذي يقف من وراءه هدف التفسير ومعناه هو فهم الكاتب وقصده . (٨)

ثانيا : أهمية علم التفسير في الدراسات النصرانية.

اهتم الباحث النصرانيون كثيرا بدراسة العلوم الاسلامية ، وتحديدا تلك العلوم المتصلة بالقرآن الكريم وتفسيره . وانطلاقا من عدم ايمانهم بقدسية القرآن ، وبأنه موحى به من السماء . ونظر المستشرقون للقرآن الكريم بأنه ظاهرة جديدة تستحق الدراسة ، من خلال اخضاعها للمناهج المتبعة والمطبقة لديهم في تفسيراتهم لكتابهم المقدس . مع علمهم بأن الكتاب المقدس ليس نصا بكامله مقدسا بل هو خليط من نصوص مقدسة وروايات جمعها الرجال المدونون لكتابي التوراة والانجيل . وهم يتعاملون مع القرآن كنص لغوي أدبي تنطبق عليه مناهج النقد الأدبي ، ومناهج التحليل في سائر العلوم الانسانية الأخرى ، وهي مناهج تتبع الأساليب المعرفية في الثقافة الغربية .

وابتدأ ت مسيرة المستشرقين بعلم التفسير بجهد التحقيق الذي بذلوه لكتب تفسير القرآن منذ القرن التاسع عشر الميلادي ، حيث حقق المستشرق الألماني فرايتاج كتاب (أسرار التأويل وأنوار التأويل) في عام ١٨٦١م . ونشره في ليبزج عام ١٨٤٥م . وفي عام ١٨٨٩م حقق المستشرق الانجليزي ويليم ناسوليز كتاب تفسير (الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل) . ثم توالت كتب اهتمامات المستشرقين بدراسة القرآن الكريم وتفسير في السنوات اللاحقة أمثال كتاب (عيسى في القرآن) للمستشرق الألماني أدولف جروهمان .

وتقتضي الموضوعية العلمية الانصاف في تناول المادة العلمية من دون غلبة التصورات الذاتية للباحث ، فيعمد الى زجها في كتاباته ، وهو ما اهتم به مؤلفو (دائرة المعارف الاسلامية) التي صدرت طبعتها الأولى بين ١٩١٣- ١٩٤٢فضمنوها ادعاءات وافتراءات على القرآن وتفسيره . مما حدا بالكتاب المسلمين ومنهم علي عبدالرازق وابراهيم مدكور أن يعلقوا بردود علمية ردت جميع افتراءاتهم . ويشير المستشرق الفرنسي بلاشير الى أن الغاية من الاهتمام بالقرآن وتفسيره وترجمته هو فهم البيئة الاسلامية ومعرفة العالم الاسلامي . وهو يعتقد أنه بفضل ترجمة القرآن قد أتيحت الفرصة للأوربيين خلال القرون الثلاثة الماضية أن يملكوا المفتاح لحديقة سرية كانوا يحلمون بدخولها .(٩)

وتتأتى دراسات المستشرقين للقرآن الكريم من اعتباره تراثا يمثل مرحلة من مراحل تطور التراث العالمي . فهم يضعون القرآن ضمن تراث القرون الوسطى ، وأن دراسته تتطلب إخضاعه لمبادئ الأنثروبولوجيا ، وهو علم دراسة المجتمعات البدائية . ودعوتهم هذه تندرج ضمن سعيهم المطالب بإعادة تفسير القرآن ، فعدوا الهداية في القرآن والتشريع فيه ما هي الا مجموعة أحكام أدرجها علماء الاسلام في القرآن كي يلزموا المسلمين بها .(١٠)

وتأتي اهتماماتهم بتفسير القرآن من محاور عدة لعل من أهمها :

١- فهم معاني القرآن . ولهذا الغرض قاموا بترجمته إلى لغاتهم ، ومنها اللاتينية ، وأول قام بذلك سلطة الكنيسة في القرن الثاني عشر ، بدعم من الراهب بطرس المبجل . (١١)

كما ترجم معاني القرآن الأب (ماراتشي) في سنة ١٦٩٨، والمستشرق الألماني (جوستاف فلوجيل) (١٢) وفي مجال المعاجم دونوا تصنيفاتهم وفق منهجية خاطئة اتسمت بالأغلاط اللغوية ومنها معجم تفصيل القرآن الكريم للمستشرق الفرنسي (جول لابوم)، ومنها المعجم المفهرس للقرآن الكريم للمستشرق الألماني جوستاف فلوجيل .(١٣)

٢- شرع المستشرقون النصرانيون بدراسة تاريخية القرآن تمهيدا لتفسيره ، كي يتحققوا من حقيقة وجود النص القرآني وتناقله بين الأجيال . في محاولة للنيل من مصدرية الوحي الالهي كي يبطلوا قدسيته . ومن ثم يعالجوه وفق رؤياهم لمنهجهم التاريخي المستنبط من واقع الروايات التي استندوا اليها وهي جميعها لدينا ضعيفة لا يعول عليها علماء الاسلام . فألفوا كتبا وسطروا بحوثا في هذا المضمار ، منها :

أ - كتاب (تاريخ القرآن) للمستشرق الألماني براجشترسر.

ب - كتاب (تاريخ النص القرآني) للمستشرقة الألمانية نولديكه .

ت - كتاب (القرآن مفسرا) للمستشرق الانجليزي (آربري) .(١٤)

ثالثا : مراحل تطور علم التفسير النصراني .

بعد علم التفسير عند النصارى فرعا من فروع العلوم اللاهوتية لأنه نابع من ضرورة علمية لا من حاجة غير ضرورية . وقد تولدت حركات تفسيرية للكتاب المقدس منذ القرون الأربعة السابقة لمجيء السيد المسيح عليه السلام . وامتدت للقرن الأول الميلادي ليشمل حياته كلها ، وصعوده للسماء .وكان محور الحركات الثلاث تفسير العهد القديم ، مما شكلت تلك المراحل اسس مهمة لتطور علم التفسير النصراني . وتلك المراحل هي :

المرحلة الأولى : نشأة هذه الحركة على يد عزرا الذي تبنى تفسير إرادة الله المعلنة في كتبهم ، وتحديدا في كتب الناموس . فمن خلال السبي الذي تعرض له اليهود تغيرت نظرتهم لإلههم الذي كانوا يعبدونه والمرتبط بأورشليم والهيكل بسبب معايشتهم لشعوب بابل وبلاد فارس التي سبتهم .

المرحلة الثانية : تبنى أصحاب التفسير الذين يمثلون هذه المرحلة فكرة انتظار الحرب المقدسة المرتبطة بمجيء السيح (المسيا) . منطلقين من عقيدتهم بأنهم الجماعة المقدسة والبقية الباقية المخلصة لدينهم من سائر اليهود . سكنوا ضفاف البحر الميت في القرن الثاني قبل الميلاد (١٥)

وعرفوا أيضا بجماعة القمران الذين قيل بأنهم أسينيون ، ولكن رغم الكثير من وجوه الشبه مثل حياة الأديرة ، والعمل اليدوي والتكريس الروحي ، فإن هناك وجوه اختلاف واضحة بينهما ، فجماعة قمران يختلفون عن الأسينيين بممارستهم الزواج وتقديم الذبائح الحيوانية ، كما أنهم لم يكونوا مسالمين ، وقد تجنبوا كل اتصال بالعالم الخارجي ، ولو أن يوسيفوس قد ذكر أن كلمة " أسينيين " كانت فضفاضة في استخدامها . ويحسن في الوقت الحاضر ألا نعتبر جماعة قمران جماعة أسينية بمعنى الكلمة حيث أنهم قد يكونون أقرب جداً " للمغاريين " سكان الكهوف الذين ظهروا في أوائل العصر المسيحي . والأسيويون هم جماعة دينية متنسكة ، ملتزمين بطقوس التطهير والقداسة الشخصية ، ويتشددون في تطبيق العدالة والأمانة .(١٦)

المرحلة الثالثة : قاد المسيحيون هذه المرحلة بعدما رأوا أن العهد القديم يمثل مرحلة إعداد الشيء الذي سيأتي لاحقا . وأن ما تضمنه العهد القديم قد أتمه يسوع الناصري بدء من مبعثه وما تم على يديه من أعمال الى صعوده للسماء ، ومجيء الروح القدس ، لحين تكوين الكنيسة . والمسيحيون فسروا العهد القديم في ضوء ما رأوه امامهم من أحداث ووقائع . وأنهم بذلك يمثلون العهد الجديد لمسيرتهم الايمانية . كما أنهم يرون أن الحركات الاصلاحية كقيام البروتستانتية وحركة الاصلاح التي قام بها المصلحون المسيحيون في القرون الوسطى أمثال كالفن ومارتن لوثر , هي حركات تفسيرية قائمة بذاتها ، دعت الى نبذ احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس . وابتدأت الحركة التفسيرية في الأوساط الدينية المسيحية عندما بدأ (كارل بارت) يدون كتابه (تفسير رومية) .(١٧)

وظهرت حركات تفسيرية جديدة تباعا ، تضمنتها الظروف الواقعة . ومن أسباب ظهورها أن الكتابات القديمة أدت دورا مهما باعتبارها تمثل الأساس الذي سرد وجود الحياة الانسانية وما يغذيها في ديمومتها . وبسبب طول الانفصال التاريخي أو الحضاري أو اللغوي أو المكاني أصبحت تلك الكتابات غير مفهومة في عصر لاحق ، أو موقف ما يختلف عن العصر الذي ظهرت فيه هذه الكتابات . ناهيك عن أن مفهوم (تاريخية الانسان) (١٨)

يتشكل على الدوام من الماضي والحاضر والمستقبل المرتبط بعضه بالآخر ارتباطا وثيقا . فالمرء يعيش على انقاض ماضيه بكل مصاديقه من عادات وتقاليد ، فيتعلم منه ما يقوم عمله وشخصيته كي يحس بوجوده وتراثه ، غير منقطع عن ماضيه ، وتمهيدا لربطه بما يخطط لمستقبله ومستقبل جماعته ومجتمعه .

المبحث الثاني : الاتجاهات الحديثة للمستشرقين المعاصرين ومنهجهم في تفسير القرآن .

أولا : الاتجاهات الحديثة للمستشرقين في تفسير القرآن .

ظهر اتجاهان حديثان في مجال تفسير القرآن . هما :

الاتجاه الأول : اهتم بتاريخ المصحف وتكوينه وجمعه وكتابته . اعتنى المستشرقون كثيرا بنشر كتب التراث الاسلامي ، ومنها تلك التي تتناول تاريخ القرآن وجمعه وترتيب سوره وبيان معانيه . فدون المستشرقون كتبا في تاريخ القرآن أمثال تيودور نولديكه (كتاب تاريخ القرآن)، وريتشارد بل كتب (مقدمة القرآن) وآرثر جفري كتب (المفردات الاجنبية في القرآن) . .

لقد روج المستشرقون في كتبهم حول جمع القرآن وتدوينه جملة أباطيل مظللة ،وشبهات ودعاوى هدفها المساس بدستور القرآن لزعزعة ثقة المسلمين بكتابهم المقدس . ومن تلك

(ادعاء غموض قضية تاريخ القرآن ادعاء عدم صحة المنقول من الأخبار الواردة في الجمع ، كما ان هناك دعوات مغرضة بأن فقرات من القرآن الكريم قد ضاعت وفقدت من المصحف الذي يقرأ منه المسلمون اليوم . بل هناك آيات يدعون أن وجودها في القرآن وهي ليست منه اصلا).

(١٩)

وعزى أحد علمائهم المدعو (نيكلاوي القوسي) تشكيل القرآن الى جملة أسباب ، منها وجود مشاعر ضد المسيحية قدمها بعض اليهود الى النبي محمد (ص) ، ووقوع تشويهات حدثت بعد وفاة النبي على يد المصححين معلومات أخذت عن المسيحية النسطورية .(٢٠)

وادعى المستشرقون بعدم صحة المنقول من الاخبار الواردة في جمع القران بالنقل الصحيح . قال تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون) (سورة الحجر/٩) . وقد كان المستشرق ولتش مشككا في الأحبار الصحيحة التي تناولت عناية المسلمين بتدوين القرآن ونقله فيقول :ان المسلمين قبلوا هذه الروايات على أنها صحيحة تاريخيا وأن ما فيها من حق لاشك فيه مع أن هناك صعوبات تحوط بها ، حيث توجد روايات اخرى في كتب الأحاديث المعتمدة تناقض موضوع هذا الحديث . (٢١)

الاتجاه الثاني : محاولتهم إعادة النظر في علم التفسير عن طريق المطالبة بتطبيق الآليات التي توفرها العلوم الانسانية . والعمل على نقد التفاسير القديمة تمهيدا لفتح باب الدراسات النقدية لمعرفة الطريق التي قد تم بها تصور الاسلام ، وكيف تخيله المسلمون في وجدانهم .(٢٢)

وتمت محاولتهم في اعادة النظرة لعلم التفسير من عدة فرضيات سعى المستشرقون لتأكيدها منها أنهم عدوا القرآن تراثا خاصا يجب اخضاعه لمبادئ الأنثروبولوجيا ، ناهيك أن القرن في مجال العقيدة والتشريع هو مجموعة احكام أدرجها المسلمون ضمنه حتى يجعلوها ملزمة للمسلمين . كما أنهم يزعمون أن تفسير القرآن الذي بين أيدينا إنما هو اختلاف المفسرين الذي فرضوه بواسطة الاحاديث المسندة التي تنتهي الى عدد من الصحابة .(٢٣)

إن تعلم المنهج الموصل للعلم والحقيقة والهدف المنشود يعد من أكثر المواضيع أهمية في علم التفسير . فهناك مناهج محرمة شرعا . فإذا قام أحدهم بتفسير القرآن بطريقة خاطئة كالتفسير بالرأي فقد أخطأ . قال : قال رسول الله : (من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ) (٢٤)

والمنهج يمثل الاستفادة من الوسائل والمصادر الخاصة في تفسير القرآن ، والتي من خلالها توضح معنى الآية ومقصدها والحصول على نتائجها . أو هو الكيفية المحددة لكشف واستخراج معاني ومقاصد آيات القرآن . (٢٥)

ثانيا : مناهج المستشرقين في تفسير القرآن .

تناول المستشرقون مناهج عدة في دراساتهم لعلم تفسير القرآن . فنشر المستشرق الانكليزي هورسفيلد كتابه (بحوث جديدة في نظم القرآن وتفسيره) في لندن ١٩٠٢.كما نشر المستشرق الفرنسي كليمان هوار كتابه (وهب بن منبه والتراث اليهودي النصراني باليمن)

أما كتاب (شرح المعتزلة للقرآن) فقد نشره المستشرق الايطالي جويدي في عام ١٩٢٥. ونشر المستشرق جاك جويمر كتابين هما (تفسير القرآن عند مدرسة المنار) و (الطنطاوي جوهري وتفسير الجواهر) في عام ١٩٤٥م

ويحاول المستشرقون بعد كل الجهد الجهيد في الوصول الى مقترح منهج جديد يسعى لتبني المناهج العلمية التي تحط من منزلة القرآن وبذر الشكوك في نفوس المسلمين ، كي يصار الى هدم عقيدتهم وبالتالي اضعافهم ليتسنى السيطرة عليهم عقائديا . وهذا المنهج يقوم على دعائم تتبعها عدة خطوات ، منها اعتماد الدعامة التاريخية للقرآن الكريم سواء كان ذلك جمعا أو تدوينا أو تفسيرا . مركزين على نظرية تاريخية النص القرآني .

ومن منظور التجديد أو إعادة تفسير القرآن بروح عصرية يعتمد المستشرقون العلوم الانسانية المعاصرة ومناهجها الحديثة . ويرد عليهم بأن تلك التفاسير كانت قريبة العهد من عصر النبوة ، وأن نقلة النص القرآني وحفظته كانوا قريبوا العهد بنبيهم وصحابته ، فلا مجال للطعن بهم . أما اخضاع النص الديني المقدس لنظرياتهم ومناهجهم الأدبية التي طبقوها على كتبهم المقدسة فهو أمر محال ، للبون الشاسع بين النصين ، القرآني ونصوص العهدين القديم والجديد فهم يعترفون أن غالبية نصوصهم في كتبهم المقدسة ما هي إلا روايات شفاهية دونها كتابهم امثال (عزرا ومتى ولوقا ومرقص ويوحنا)وبفترات متباعدة . فكيف نجمع بين نص مصدره الهي ، وآخر بشري ؟ ثم ان بعض تلك النظريات تفتقد التطبيق مثل فقه اللغة وهرمينوطيقيا النص والمعنى التي لا تنسجم مع النظم القرآني .ومن المناهج التي اعتمدوها في دراستهم للقرآن وتفسيره ما يلي :

١- المنهج التأويلي .

٢- منهج الأثر والتأثر.

٣- المنهج التاريخي .

٤- المنهج العلماني .

٥- المنهج المادي .

٦- المنهج الاسقاطي .

٧- المنهج الشمولي .

٨- المنهج الانتقائي.

٩- منهج الشك والافتراض .

١٠- منهج البناء والهدم .

وسأتناول في دراستي المناهج الثلاثة الأولى .

١- المنهج التأويلي : سعى المستشرقون في دراساتهم للقرآن الكريم عبر تأويلات مخالفة للحقيقة والموضوعية العلمية المعتمدة على الالتزام بقواعد البحث والمقاييس العلمية . وهي نابعة من دراساتهم القاصرة وغير الدقيقة للغة العربية مما انعكس سلبا على فهم النص القرآني وتحليله . فوضعوا نتائج مسلمة لديهم بنوا بموجبها مقدمات مخالفة للأصل . بعيدا عن الحيادية والروح العلمية . وغالبا ما يعمد المستشرقون في تفسيرهم للقرآن الى اصدار أحكامهم النهائية بلا أدلة وبراهين ، مما يكسب حكمه عدم المصداقية ومجانبة الحقيقة . (٢٦)

ومن خلال تأويل المستشرقين للنصوص القرآنية التي أنكروا فيها قدسية النص القرآني ، وانكارهم لإعجاز القرآن والوحي وتأويلهم الفاسد لآيات العقيدة .

ويعتقد المستشرق الانجليزي جورج سال أن القرآن كتب لم يرتق الى مصاف الاعجاز الرباني لأن فيه مضامين لا يمكن نسبة صدورها لله تعالى . ويستشهد بقوله تعالى (وإذا أردنا ان نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا) (٢٧) حيث يرى سال أن مضمون الآية مخالف للعدل الالهي الذي لا يأمر بالفسق ، فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك ، فيكون هذا الاهلاك ظلما .(٢٨).

ويجاب عليه أن الله هو أحكم الحاكمين فلا يظلم عباده ، وهو القائل (ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام العبيد) (٢٩) .

فمعنى قوله تعالى (أمرنا مترفيها) اي اذا أردنا أن نهلك قرية بعد قيام بعد قيام الحجة عليهم وإرسال الرسل اليهم أمرنا مترفيها أي رؤساءها وساداتها بالطاعة واتباع الرسل أمرا بعد امر نكرره عليهم وبينة بعد بينة نأتيهم بها إعذارا للعصاة وإنذارا لهم وتوكيدا للحجة ففسقوا فيها بالمعاصي وأبوا أي تماديا في العصيان والكفران (فحق عليها القول) أي وجب حينئذ عليها الوعيد .(٣٠)

وينقل الفخر الرازي عن صاحب الكشاف أن ظاهر اللفظ يدل على أنه تعالى يأمرهم بالفسق فيفسقون ، إلا أن هذا مجاز ومعناه أنه فتح عليهم أبواب الخيرات والراحات فعند ذلك تمردوا وطغنوا وبغوا ... والدليل على أن ظاهر اللفظ ما ذكرناه أن المأمور به إنما حذف لأن قوله ((ففسقوا) يدل عليه ، يقال : أمرته فقام ، وأمرته فقرأ لا يفهم منه إلا أن المأمور به قيام او قراءة فكذا ههنا لما قال (أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) وجب أن يكون المعنى أمرناهم بالفسق ففسقوا لا يقال بشل هذا بقولهم أمرته فعصاني أو فخالفني فإن هذا لا يفهم منه أني أمرته بالمعصية والمخالفة لأنا نقول : إن المعصية منافية للأمر ومناقضة له) (٣١)

ومن امثلتهم في تأويل آيات العقيدة ، محاولتهم اثبات عقيدة التثليث - التي يؤمنوا بها في كتبهم المقدسة - من القرآن الكريم من خلال تأويل أسماء الله وصفاته . ففي بسملة السور القرآنية (بسم الله الرحمن الرحيم) يعتقد المستشرقون أن فيها اشارة الى أسماء ثلاثة (الله ، الرحمن ، الرحيم) كما في الثالوث المسيحي (الآب ، الابن ، الروح القدس)(٣٢.)

وفي المقابل ويقول الباقلاني عن إعجاز القرآن: (إنه بديع النظم، عجيب التأليف، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه)(٣٣) .

واستقت تأويلات المستشرقين لآيات التشريع الاسلامي مضامينها من أراءهم الذاتية التي ساقوها من دراساتهم للتوراة والانجيل ، وهي دراسات لا يمكن اسقاطها سواء في منهجيتها وتعاطيها للنصوص المقدسة أو في تأثرها بعاملي الزمان والمكان - بالرغم من تباينها مع نصوص القرآن الكريم - فالتشريعات الاسلامية الواردة في النصوص القرآنية تشريعات مستقلة تماما عما في كتابي التوراة والإنجيل الذين شابهما التحريف ، وتطاول التأثير الزماني والمكاني في صياغتهما اللغوية طيلة ثلاثة قرون أو أكثر .(٣٤)

٢- منهج الاثر والتأثر .

تدرس الاديان السماوية كوحدة تشريعية عقائدية مصدرها الله سبحانه وتعالى . فتتشابه تبعا لذلك في عدة قضايا أساسية مثل التوحيد والأحكام التشريعية وبعض الوقائع التاريخية التي يتم ذكرها في الكتب المقدسة . وهذا التشابه يعني وحدة المصدر ، وليس مدعاة لتأثر اللاحق بالسابق . وهو ما عمد اليه المستشرقون في دراسة الاسلام وتفسير القرآن من خلال نظرية الأثر والتأثر عنما وجدوا تشابها في بعض الأحكام والوقائع في القرآن الكريم وفي كتبهم المقدسة (التوراة والانجيل) . فزعموا أن دستور الاسلام (القرآن) متأثر بما استنسخه من كتبهم المقدسة ، وبما تأثر به من الحضارات القديمة ونتاجها الانساني والفلسفي .

ومرد دعواهم في تطبيق منهج الأثر والتأثر يعود الى دراساتهم السابقة لديانتهم النصرانية التي تعد مزيجا من البيئة التي ولدت في أحضانها المسيحية ، متأثرين بالفلسفة اليونانية والفلسفات الغنوصية وما استسقوه من حضارة الشرق والشرق الأدنى . فاتهموا الاسلام بتهم باطلة ، منها أن الفقه الاسلامي نسخة من الفقه الروماني ، وأن الاسلام كديانة شمولية ماهي إلا طيف متنوع بثوب جديد مقتبس من الديانتين اليهودية والمسيحية . فحكموا بالتأثر عند كل متشابه . وعندا يتطرقون الى سيرة النبي محمد (ص) يصرون على تأثره بمن حوله من اليهود والنصارى كورقة بن نوفل ومن أسلم منهم وأصبحوا من صحابته كصهيب الرومي وسلمان الفارسي وابن سلام . وهم بذلك يجردون الاسلام من أصالته السماوية . فالعقل البشري ربما ينتج حقائق متشابهة في ظروف ووقائع تتماثل فيها الأحداث ، إذ أن مصدريتها واحدة ، وهو أمر ليس له علاقة بتأثر اللاحق على السابق .

ونظرا لأخذ غالبية كثيرة من المستشرقين بمنهج الشك فإنهم لا يتركون قضية تخص القرآن وتفسيره إلا يشككون في مصدريتها لاعتقادهم أن الشك يوصل للحقيقة . وهو منهج يعني بالأخذ بالنزعة التأثيرية، وهي نزعة دراسية يأخذ بها معظم المستشرقين الذين اعتادوا رد كل عناصر منظومة الإسلام بعد تجزئتها إلى اليهودية والنصرانية .لقد كان المستشرقون القدامى (٣٥)

أكثر الناس استخداماً لهذه النزعة في كل كتاباتهم، فلقد أصدر المستشرق (إبراهام جايجر) عام ١٨٣٣م كتابا بعنوان) :ماذا أخذ القرآن عن اليهودية)، ويعد هذا الكتاب نقطة البدء لتنقيب المستشرقين في القرآن عن كل ما هو منقول أو مستقى من اليهودية، ومن ثم أرادوا رد العناصر والمضامين القرآنية إلى العناصر التوراتية .وهكذا يتعسف المستشرقون في إطلاق الأحكام التعسفية المرتبطة بهذا المنهج؛ فكلما وجدوا تشابها بين الموضوعات القرآنية والموضوعات الموجودة ٢ في التوراة والإنجيل وظفوها حسب هذا المنهج المزعوم).)وما من شك في أن هذه المنهجية يستخدمها الفكر السياسي الاستعماري لمصالحه القومية، انطلاقا من منطلقات ورواسب تنصيرية كنسية، أو من خلفيات علمانية، أو من رواسب يهودية، وفي هذا الصدد يزعم (بلاشير) في كتابه(معضلة محمد) أن القصص القرآنية مأخوذة في زعمهم عن القصص اليهودية والنصرانية (٣٦) .

ويذكر المستشرق (ديلاس أوليري) في كتابه (الفكر العربي ومكانه في التاريخ (عن العقلية العربية قائلاً" :الحق أن هذه الثقافة الإسلامية في أساسها وجوهرها جزء من المادية الهيلينية الرومانية؛ بل إنه حتى علم التوحيد الإسلامي قد تمدد وتطور بواسطة ١ منابع هلينية) (٣٧) ديلاس أوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ترجمة: تمام حسين ، المقدمة ، غير مرقمة ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، ١١٣٨١-١٩٨١

ويذهب المستشرق الفرنسي (أندري شوراكي) إلى أن كثيرا من الأعلام الواردة في القرآن ذات أصل عبراني، ولقد أصدر ترجمة لمعاني القرآن، وقام بنقدها المستشرقون قبل غيرهم" وقد احتفظ فيها بالأصول العربية لبعض الألفاظ من غير ترجمة إمعانا منه في بيان أصلها العبراني كما زعم).)"والمتأمل في كلامه يجده يريد أن يصل إلى نتيجة مهمة مفادها: أن معظم الألفاظ القرآنية لها ما يقابلها في اللغة العبرانية، وبالتالي فإن مصدر القرآن الكريم الرئيسي هو التوراة، وهذا كلام غير صحيح ولا يستند إلى برهان، وبطلانه جلي لذوي العقول الرشيدة . وفضلاً عن ذلك فإنه في ضوء المنهج التأثري، يكون القرآن الكريم متأثراً ومقتبساً من التوراة والإنجيل، وبالتالي يخلو من كل أصالة وإلهية .(٣٨ .

ويبغي المستشرق المجري (جولدتسيهر) توثيق هذه المنهجية والعمل على تأكيدها من خلال ضرب الأمثلة في بعض التشريعات التعبدية مقارنة بمثلها في اليهودية فيقول: "شعيرة الصلاة التي كانت بصورتها الأولى من قيام وقراءة، وبما فيها من ركوع وسجود، وبما يسبقها من وضوء تتصل بالنصرانية الشرقية، والصوم الذي جعل أولاً يوم عاشوراء محاكاة للصوم اليهودي الأكبر(٣٩)

٣- المنهج التاريخي (نظرية تاريخية النص المقدس نموذجا)

ان المنهج التاريخي الذي عمد اليه بعض المستشرقين في دراسة التاريخ الاسلامي غالبا ما يمس موضوعا دقيقا يتعلق بطبيعة التاريخ الاسلامي وجوهره . ولكن ما يؤخذ على المستشرقين أساليبهم التي تعاملوا بها مع قضايا التاريخ التي سببت لهم مشاكل كثيرة بدء من مشكلة المصطلحات التي حسمت تغير المنهجية بسبب تغير البيئات الفكرية ، وظهور اتجاهات جديدة تولدت من رحم تطور العلوم الاجتماعية . ، (٤٠) .

تأثرت نظرة المستشرقين الغربيين كثيرا في تفسير القرآن الكريم بالمناخ العلمي والفكري الغربي ، وهيمنة مناهج بحثية سائدة عندهم . فعمد المستشرقون الى فرض معطيات منهجية وأصولا للبحث العلمي ضمن اطار العلوم الانسانية . فطبقوا البعض منها على كتبهم المقدسة ضمن نظرية عرفت باسم (نقد الكتاب المقدس) . ويعد (يوليوس فلهوازن (١٨٤٤ - ١٩١٨) المؤسس الأول لعلم نقد الكتاب المقدس . وهو ذاته مؤسس (نقد القرآن الكريم) وهو صاحب نظرية تعدد مصادر التوراة .(٤١) وكتاب (نقد الكتاب المقدس .) نشره مجمع الملك فهد للطباعة ، الرياض . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ص٤و٥و١٦) ، التي أشارت اليها الآية الكريمة بقولها (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا) (٤٢) .

وخصصوا فريقان لدراسة القرآن ; الأول يتكون من رجال دين مسيحيين ويهود ، طغى الالتزام الديني عليهم . والفريق الثاني مجموعة من العلماء العلمانيين المنتمين الى حقل العلوم الانسانية والاجتماعية الجامعات والمعاهد الأوربية والأمريكية . متأثرين بمناهج البحث الاجتماعية والأنثروبولوجية والنفسية والفلسفية . كما تم تطوير تلك المناهج من علوم دين مستقلة ، مثل علم مقارنة الأديان وعلم تاريخ الأديان ، وعلم الظاهرة الدينية الى جنب علم الاجتماع ، وعلم انثروبولوجيا الدين وتاريخ الدين وعلم جغرافية الدين . وعلم النفس الديني . وفلسفة الدين والفنون الدينية والأخلاق الدينية . (٤٣) .

وأثرت المحطات التاريخية في علاقة الفكر الأوربي بالديانة النصرانية في صياغة المناهج العلمية لمجمل العلوم الانسانية والشرعية وكذلك في نظرية تاريخية النص الديني . فالمحطة التاريخية الأولى التي تمثلت بسيطرة الكنيسة على مجريات الساحة السياسية والدينية في أو أوريا ، واحتكار البابا لتفسير الكتاب المقدس ، مما نتج عنه عدم وجود فرق بين النص الديني المقدس وفهم الكنيسة وكلامها . وقد أشار القرآن الكريم لفكر هذه المرحلة بقوله تعالى (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله والمسيح ابن مريم ٠) (٤٤) .

ثم تغير الحال في المحطة الثانية من تاريخ أوربا عبر عصر الثورة الفكرية الدينية من خلال الآراء التي طرحها مارتن لوثر (١٤٨٣-١٥٤٦) وكالفن (١٥٠٩- ١٥٦٤) الذين تمردوا على الكنيسة الكاثوليكية ، وحطموا قاعدة احتكار الكنيسة لتفسير الكتاب المقدس . لكنهم احتفظوا لكتابهم المقدس بوحدة مصدريته للمعرفة . متناسين قوله تعالى (أفرأيت من اتخذ الهه هواه (٤٥) .

ومع اطلالة النصف الثاني من القرن الثامن عشر بدأت المرحلة التاريخية الثالثة التي اتصفت بعصرها الانساني التنويري الذي امتاز بهيمنة سلطان العقل بعيدا عن تأثير الدين . واخضاع كل شيء لسلطان العقل . أما المرحلة الرابعة التي بدأت في مطلع القرن التاسع عشر فقد نزعت الى جعل الحس (الطبيعة) هي التي لها السيادة المطلقة ، باعتبار الطبيعة هي المصدر الوحيد للمعرفة ، ويقصدون بذلك العالم المادي الذي من حولنا . في اشارة منهم الى الحياة الدنيا ورضاهم بنعيمها ولذائذها . قال تعالى (إن الذين لا يرجون لقائنا ورضوا بالحياة الدنيا واطمأنوا بها والذين هم عن آبائنا غافلون) (سورة يونس/٧)(٤٦) .

إن فكرة تاريخية النصوص ، فكرةٌ غربيَّةٌ ، وطبقها الغربيون على النصوص الأدبية ومنها النصوص الدينيّة ، فلم يفرقوا بينَ نصٍ دينيٍّ ونصٍ بشري ، ولا بينَ نصٍ مقَدَس ونصٍ غير مقدس . فعمدوا الى تطبيقه على التوراة والانجيل ؛ مما جعل كلُّ النُصوصِ نصوصاً تاريخيَةً. واستغل هذه الفكرةَ الحداثيونَ العرب ، وطبقوها على القران الكريم ، وأول من طبقها نصر حامد ابو زيد في كتابه (مفهوم النص) ، الذي عد النص الدينيَّ تَشَكَّلَ في ارض الواقع في محاولة لتجريد النص القرآني عن مصدره الالهي الذي يعترف به نصر حامد ويؤمن بإلهية المصدر القرآني .وحذا حذوه كل من (محمد اركون ، ، ومحمد عابدا لجابري ، وحسن حنفي) . وهؤلاء اختلفوا في فهمهم لتاريخية النص القرآني .

والتاريخيَّةُ هي : (مذهبٌ أَو نزعَةٌ تُقَرِرُ أَنَّ القوانينَ الاجتماعيةَ تَتَصِفُ بالنِسبِيَّةِ التاريخيَّةِ وَأَنَّ القانونَ من نتاجِ العقلِ الجمعيّ).(٤٧)

كما تعرف التاريخية بانَّها :(العقيدة التي تقول : بأنَّ كلَّ شيءٍ أو كلَّ حقيقةٍ تَتَطورُ معَ التأريخ وهيَ تهتمُّ ايضاً بدراسةِ الاشياء والاحداث وذلكَ من خلال ارتباطها بالظروفِ التاريخيَةِ .(٤٨)

وَالتاريخيَّةُ عندَ نصر حامد ابي زيد تعني : (الحدوثُ في الزمن ، إنَّها لَحظَةُ الفصلِ والتمييزِ بينَ الوجودِ المُطلَقِ المتعالي (الوجود الالهي) .والوجود المشروط الزَّمانِّي (وقولُنا بأَنَّ العالَمَ حادثٌ أو مُحدَثٌ يعني زمانيتَه وتاريخيته ، فمفهومُ التاريخية إذَن مُحايِد لِوجودِ العالَمِ أو ايجاده). (٤٩)

إذن فكرة تاريخية النصوص ، فكرةٌ غربيَّةٌ ، طبقها الغربيون حتى على النصوص الدينيّة عندهم ، اذ لم يفرقوا بينَ نصٍ دينيٍ ونصٍ بشري ، ولا بينَ نصٍ مقَدَس ونصٍ بشريٍ ؛ فطبقت على التوراة والانجيل ؛ واعتبرت كلُّ النُصوصِ نصوصاً تاريخيَةً .
وتلقف هذه الفكرةَ الحداثيون في عالمنا العربي ، وطبقوها على القران الكريم ، وقد تبناها نصر حامد ابو زيد في كتابه (مفهوم النص) ، الذي اعتبر في كثيرٍ من عباراتهِ ان النص الدينيَّ تَشَكَّلَ في ارض الواقع في محاولة لتجريد النص القرآني عن مصدره الالهي ، بالرغم من ان ابا زيد يقول بانه يؤمن بالمصدر الالهي للقران .ومن الذين قالوا بتاريخية النص القرآني ، محمد اركون ، ومحمد عابد الجابري ، وحسن حنفي ، رغم اختلافاتهم في فهم تاريخيَّة النص القرآني. .
واستند والذينَ تحدثوا عن تاريخيةِ النصِ القرآني ، الى بعض الآيات التي نزلت في مجموعة من الناس محددين عاشوا في أزمنة محددة وأماكن محددة . وجميعها تدل على تاريخيةِ هذه النصوص . مثل الحوادث الشخصية التي نزلت بها آية الظهار ، وآيات اللعن . فمصداقها التاريخي هو الوجود الفعلي للأشخاص ، لكن في مضمونها الحقيقي ليس تاريخيا ببل عابرا للتاريخ لانطباقها على كل تلبس باللعان أو الظهار على مر العصور اللاحقة .

كما ذكر المستشرقون أن نظرية (تاريخ النص) التي طبقوها على كتبهم المقدسة أن يطبقوها على القرآن الكريم الذي لا تاريخ له ، وبالنتيجة الدينية الناتجة عن النقدين النصي والمصدري لم تحدث مع الاسلام . أي بمعنى إذا كان للنص تاريخ فالدين الناشئ عن النص له كذلك تاريخ ، وهو وضع اليهودية والنصرانية . فتاريخ التوراة وأسفار العهد القديم ،وأسفا ر العهد الجديد أنعكس بالضرورة على الديانتين اليهودية والمسيحية ، فهما ديانتان تاريخيتان . وكل ديانة منهما لها تاريخ ينقسم الى عصور ما ، عرفت بيهودية التوراة ، ويهودية الانبياء ، ويهودية العهد القديم ويهودية التلمود . (٥٠)

كما اختلفت الفرق اليهودية حول حجم النص الديني المقدس بين الاعتراف بأسفار موسى ، والاعتراف بالعهد القديم ككل . وفي المقابل هناك توافق تام بين القرآن كنص والاسلام كدين .فلا يوجد اسلام خارج النص القرآني . وبالتالي لا يوجد تطور عقدي أو عصور للإسلام . مع مراعاة عدم الخلط بين الاسلام وتاريخ المسلمين . فالتاريخ الموجود هو تاريخ المسلمين ، وليس تاريخ الاسلام . والاسلام ليس مقسما الى عصور ، كما أنه ليس مرتبطا بالشعوب ، فليس هناك اسلام الخلفاء الراشدين ، أو اسلام الأمويين ،أو العباسيين .(٥١) .

ثالثا : نماذج مختارة من تفسير المستشرقين للقرآن الكريم .

١ـ تفسير قوله تعالى (الذين يتبعون الرسول الأمي الذي يجدونه عندهم في التوراة والإنجيل ..) (سورة الأعراف/١٥٥) ففسروا كلمة الأمي بالجهل أو الجهالة، فالنبي الأكرم (ص) في تصورهم جاهل ليس بذي علم ، واثاروا حوله الشكوك ، سعيا وراء التشكيك بمصداقية القرآن وصحته . متغافلين عن عمد أنه ورد في القرآن ألفاظ (أم وأمة وأمي وأمين) ولكي نفهم المعنى الدلالي للفظ لابد من فهم السياق الذي وردت فيه اللفظة التي هي وسيلة لتحصيل المعنى المقصود . إن ألفاظ القرآن هي لب كلام العرب وزبدته وواسطته ، وعليها اعتماد الفقهاء والحكماء في أحكامهم . وحكمهم وقد تضمنت آيات القرآن بدائع العبارات ، ودقائق الاشارات التي جعلت من المصطلح القرآني في جوهره أدق تعبير وأصدقه عن الطفرة الدلالية التي أحدثها القرآن الكريم في لغة العرب في مجالات الاستعمال اللفظية والتركيبية . فاللفظة تضرب بجذورها في الاحاطة نظرا للنظم البنائي والمعماري الذي تنفرد به . (٥٢)

ان لفظ (أمي) يطلق على غير أهل الكتاب (٥٣) . قال تعالى (هو الذي بعث في الأميين رسولا منهم)(٥٤) فكلمة الأمي مشتقة من كلمة أمة بمعنى القوم أو الشعب الوثني . يقول ابن منظور في قاموسه اللغوي حول ما قيل للنبي بالأمي لأنه على ما ولدته أمه عليه من قلة كلام العرب وعجمة اللسان . وقيل لسيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم الأمي لأن أمة العرب لم تكن تكتب ولا تقرأ المكتوب . وبعثه الله رسولا وهو لا يكتب ولا يقرأ من كتاب وكانت هذه الخلة إحدى آيات اعجازه لأنه تلا عليهم كتابا منظوما تارة بعد أخرى ، بالنظم الذي أنزل عليه فلم يغيره ولم يبدل ألفاظه .(٥٥)

ويشير (ويل وايريل ديو رانت) في قصة الحضارة الى عظمة الرسول الأكرم وقدرته الفذة التي قلما يصل اليها أرقى الناس تعليما ، مع العلم أنه لم يعرف عن النبي محمدا (ص) أنه تلقى تعليما من معلم أو معلمة . ولم يعرف عنه أنه كان بعرف القراءة والكتابة ، أو أنه كتب شيئا بنفسه . فلم يكن في مجتمعه سوى سبعة عشر رجلا يعرفون القراءة والكتابة .(٥٦)
٢ـ ذكر المستشرق سال أن القرآن اضمن نفي صفة الاعجاز عير بعض الآيات الواردة فيه ومنها قول القرآن (واذا تتلى عليه آياتنا قالوا قد سمعنا لو نشاء لقلنا مثل هذا ان هذا الا أساطير الأولين) (٥٧)

حيث فهم سال من الآية دليلا على عدم اعجاز القرآن ، وحملها على عير مرادها . في حين أن قول (لو نشاء لقلنا مثل هذا) هي مقولة قالها النظر بن الحارث عندما جاء بأخيار ملوك فارس لقريش ، مدعيا أن يإمكانه المجيء بمثل ما جاء به القرآن من قصص الأقوام السابقة للاسلام . فقول النظر لا يثبت أتيانه بالمعارضة ، إنما يثبت أنه لو شاء لأتى بمثل القرآن .(٥٨)

خاتمة البحث : توصل الباحث الى مجموعة من النتائج أوجزها بما هو آت :

١ـ استمر النهج العدائي للتراث الاسلامي والعقيدة الاسلامية المتمثلة بدستورها الخالد القرآن الكريم منذ الظهور الاول للاستشراق إلى يومنا هذا دونما مراعاة للموضوعية المنصفة للحقيقة العلمية والشفافية في تناول قضايا الاسلام وشريعته السمحاء .

٢ـ ان اهتمام المستشرقين بعلم التفسير دليل على أهميته لهم في تحقيق أهدافهم في النيل من المضامين القرآنية الرسالية .

٣ـ تفتقر مراكز الدراسات والبحوث الاسلامية الى الدراسات المعمقة التي تنصب على كبح جماح النشاطات الاستشراقية قياسا للجهد الكبير الذي بذله ويبذله المستشرقون في معاداتهم للإسلام .

٣ـ للأعلام دور كبير في بيان حقيقة الإسلام ، وتراثه الحضاري من خلال اقامة الندوات والمؤتمرات المشتركة ، وازاحة الغبار عن الادعاءات الباطلة التي يروج لها غالبية المستشرقون .

٤ـ الاهتمام بطلبة الابتعاث ، وتوعيتهم من مخاطر الانزلاق والتأثر بالدراسات الغربية الاستشراقية . وتوجيههم نحو نمط من الدراسات التي تخدم دينهم وتراثهم .

الهوامش والمصادر .

(١) ريجيس بلاشير ، تاريخ الأدب العربي ، تحقيق ابراهيم كيلاني ، الطبعة الأولى ، دار الفكر المعاصر ، ١١٨/٢)

(٢) د. عبدالرحمن بدوي . دفاع عن الاسلام ضد منتقديه . الطبعة الأولى مطبعة المدبولي الصغير . القاهرة . ص٧)

(٣)التفسير التطبيقي للكتاب المقدس ، مجموعة باحثين ، منهم د. بروس بارتن . تعريب شركة ماستر ميديا . القاهرة . الطبعة الأولى . بريطانيا العظمى ، ١٩٩٧م . ص٤ (ترقيم الباحث)

(٤) القس فهيم عزيز ـ علم التفسير . نشر دار الثقافة . دار نوبار للطباعة. القاهرة (د ت) ص٩)

(٥) ظ : التفسير التطبيقي للكتاب المقدس /٢٢٣.) كما وردت بذات المعنى في (ومرقس١٤١/٥ ، ويوحنا ٣٣/١) (المصدر السابق /٩)ويعتقد الباحث لويس صليبا أن علم التفسير هو بمثابة مسعى صحيح تجاه القرآن ولا يمكن له بتاتا أن يكون نقدا .

(٦) د. لويس صليبا ، الاسلام في مرآة الاستشراق المسيحي . الطبعة الأولى ، دار ومكتبة بيبلون ، جبيل ، لبنان ٢٠١٣، ص٣٤٠)

. (٧) المصدر السابق /١١)

(٨) المصدر السابق/١٥).

(٩) ريجس بلاشير . القرآن نزوله وتدوينه وترجمته وتأثيره . نقله الى العربية رضا سعادة ، الطبعة الأوى دار الكتاب العربي ، بيروت . ١٩٧٤ص٢٠)

(١٠) ظ : جوزيف شاخت ، رسالة في الشريعة الاسلامية . دراسة منشورة في كتاب (تراث الاسلام) ج٢ص٦١- ١٥٩. نشر سلسلة عالم المعرفة ، الكويت .)

(١١) رودي بارت ، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية ، تيودور نولديكة ، دار الكاتب العربي ، بيروت ، لبنان ، ص٣٨)

كما ترجم معاني القرآن الأب (ماراتشي) في سنة ١٦٩٨، والمستشرق الألماني (جوستاف فلوجيل)

(١٢) ساسي سالم الحاج ، الظاهرة الإستشراقية ، وأثرها في الدراسات الاسلامية ، ٣١١/١، الطبعة الأولى ، ١٩٩١م) .

(١٣) ظ : محمد عوني عبدالرؤوف ، جهود المستشرقين في التراث العربي الاسلامي ، ص٣٥٥)

(١٤) رودي بارت ، الدراسات العربية الاسلامية في الجامعات الألمانية ، ص٢٦) (العقيقي ، المستشرقون ، ٣٥٣/٣)

(١٥) الدكتور فهيم عزيز . علم التفسير /١٢)

(١٦) المصدر السابق/١٣ . والتفسير التطبيقي /١٩٨٦

(١٧) الدكتور فهيم عزيز ، علم التفسير /١٣.) ٧

(١٨) المصدر السابق /ص١٣)

(١٩) انظر في تلك الدعاوى والشبهات المصادر التالية : د. محمد محمد أبو ليلة . القرآن الكريم من المنظور الاستشراقي دراسة نقدية تحليلية . الطبعة الأولى ، دار النشر للجامعات . القاهرة ص١٤٣، وص١٤٩. غوستاف لوبون / حضارة العرب ، ترجمة عادل زعيتر . مؤسسة هنداوي للنشر والثقافة القاهرة - مصر عام النشر ٢٠١٢ م . ص١١٥. تيودور نولديكه ، تاريخ القرآن ، ص٢٤٠،/ تيودور نولديكه ، تاريخ القرآن ، ترجمة وقراءة نقدية د. رضا محمد الدقيقي ، الطبعة الثانية ، دار النوادر - سلسة اصدارات وزارة الأوقاف والشؤون الاسلامية . دولة القرآن . ١٤٣٢- ٢٠١١، ج٣ص٢٠١ وما بعدها .)

(٢٠) هشام شعيط ، اوربا والاسلام صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٥، ص١٢)

(٢١) هشام شعيط ، اوربا والاسلام صدام الثقافة والحداثة ، دار الطليعة للطباعة والنشر ، بيروت ، ١٩٩٥، ص١٢)

(٢٢) سحر جاسم عبد المنعم . الدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي ، ص٢٠٦)

(٢٣) سحر جاسم عبد المنعم . الدراسات القرآنية في الاستشراق السويدي ، ص٢٠٧)

(٢٤) أبي عيسى محمد بن سورة الترمذي لجامع الصحيح سنن الترمذي ، كتاب تفسير القرآن عن رسول الله أ باب ما جاء في الذي يفسر القرآن برأيه ، رقم الحديث (٢٩٥١) ص٧٨٦)

(٢٥) علي جواد الطاهر ، منهج البحث الأدبي ، الطبعة الثالثة ، مطبعة أسد . بغداد ، ص

(٢٦) ظ : يحيى عليان وعثمان غنيم ، مناهج وأساليب البحث العلمي، النظرية والتطبيق، يحي عليان وعثمان غنيم، ص٢١٥، دار الصفا للنشر والتوزيع ، عمان، ٢٠٠٠.)

(٢٧) سورة الاسراء/١٦) حيث يرى سال أن مضمون الآية مخالف للعدل الالهي الذي لا يأمر بالفسق ، فكيف يأمرهم ثم يهلكهم على ذلك ، فيكون هذا الاهلاك ظلما .

(٢٨) جرجس سال ، أسرار عن القرآن ، ص٥٢ ن تعريب هاشم العربي ، وهو الجزء الثالث من كتاب (مقالة في الاسلام للكاتب جورج سال ، الطيعة الثالثة ،المطبعة الانكليزية الأمريكانية ، مصر ١٩١٤م ، والمنشورة على الموقع الالكتروني . www.noor) (book.com

(٢٩)سورة آل عمران /١٨٢)

(٣٠) أبو علي الفضل بن الحسن الطبرسي ، مجمع البيان في تفسير القرآن ، ٥٢٤/٦ تصحيح و تحقيق هاشم المحللاتي ، الطبعة الثالثة ، دار احياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي ،بيروت ـ لبنان ١٤٢٦هـ ـ ٢٠٠٥)

(٣١) محمد الرازي فخر الدين ابن العلامة ضياء الدين عمر ، تفسير الفخر الرازي (التفسير الكبير ومفاتيح الغيب) ١٧٥/١٠، الطبعة الثالثة ، دار الفكر ، بيروت ـ لبنان ، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥)

(٣٢) ظ : مجموعة كتاب ، مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والاسلامية ، ص٣٣ ، نشر المنظمة العربية للتربية والثقافة والاعلام ، ١٩٨٥)

(٣٣) محمد ابن الطيب أبو بكر الباقلاني ، إعجاز القرآن ، ص ٦٩ ، تحقيق أحمد صقر ، الناشر دار المعارف ـ مصر . ب ت)

(٣٤) شوقي أبو خليل الإسقاط في مناهج المستشرقين والمبشرين، ص١٤١، الطبعة الاولى ، دار الفكر، بيروت، ١٤١٦هـ١٩٩٥م)

(٣٥) محمد البهي : الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي ، ص ١٨ ،الطبعة السادسة ،مكتبة وهبه القاهرة، بدون تاريخ.)

(٣٦) محمد البهي ، المصدر السابق . ص١٩.

(٣٧) ديلاس أوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، ترجمة: تمام حسين ، المقدمة ، غير مرقمة ، عالم الكتب للنشر ، القاهرة ، ١١٣٨١-١٩٨١

(٣٨) ديلاس أوليري : الفكر العربي ومكانه في التاريخ ، المقمة .

(٣٩) أجناس جولد تسيهر: العقيدة والشريعة، ص ١٧. ، تحقيق: د. محمد يوسف موسى وآخرون، دار الكتب الحديثة ، القاهرة . ب ت .

(٤٠) محمد ابن عبود ، منهجية الاستشراق في دراسة التاريخ الإسلامي، بحث منشور في كتاب مناهج المستشرقين في الدراسات العربية الإسلامية، الطبعة الأولى، المنظمة العربية للتربية والثقافة، تونس، ١٩٨٥، ٣٤٤/١)

(٤١) أد. محمد خليفة حسن . دراسة القرآن الكريم عند المستشرقين . في ضوء علم ٠ (نقد الكتاب المقدس .) نشر مجمع الملك فهد للطباعة ، الرياض . ١٤٢٧هـ - ٢٠٠٦م. ص٤و٥و١٦)

(٤٢) التي أشارت اليها الآية الكريمة بقولها (أفلا يتدبرون القرآن ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كبيرا) (٤٢) سورة النساء/٨٢)

(٤٣) أد. محمد خليفة حسن . دراسة القرآن الكرين عند المستشرقين . في ضوء علم ٠ (نقد الكتاب المقدس . ص٤- ٥)

(٤٤)سورة التوبة /٣١)

(٤٥) (سورة الجاثية/٢٣)

(٤٦) ظ : حامد بن عبدالله العلي . دليل العقول الحائرة في كشف المذاهب المعاصرة . دراسة منشورة على الموقع الالكتروني Islamway.net

(٤٧) يوسف كرم ، مراد وهبة، يوسف شلالة، المعجم الفلسفي، مكتبة يوليو ، القاهرة ، ١٩٦٧ص ٣٣.)

(٤٨) اركون ، محمد ، الفكر الاسلامي ، قراءة علمية ، نشر المركز الثقافي العربي ، بيروت ،ص ١٣٩.)

(٤٩) نصر حامد أبو زيد ، (النص، السلطة ، الحقيقة) ،المركز الثقافي العربي ، بيروت ، ٢٠١٧ ص ٧١.)

(٥٠) أد. محمد خليفة حسن . دراسة القرآن الكرين عند المستشرقين . في ضوء علم ٠ (نقد الكتاب المقدس . ص ١٧- ١٨))

(٥١) المصدر السابق /١٩)

(٥٢) د. محمد المنتار. خصوصية النسق المفهومي القرآني , بحث منشور في مجلة الإحياء التي تصدرها الرابطة المحمدية للعلماء ، المملكة المغربية ، العدد٢٧ لسنة ٢٠٠٨م ، ص٢٧٦ المنشور على موقع الرابطة المحمدية للعلماء الالكتروني .www Arrabita.ma

(٥٣) محمد حسين الطباطبائي . الميزان في تفسير القرآن ، الطبعة الأولى ، منشورات دار المجتبى للمطبوعات ، قم ، ايران ، ١٤٢٥هـ-١٤٠٥م ، ٢٧٥/١٩)

(٥٤) (سورة الجمعة/٢)

(٥٥) ابن منظور ، محمد بن مكرم ، لسان العرب ، الطبعة الرابعة ، دار صادر ، بيروت ، لبنان، ٢٠٠٥ ، ١٦٢/١)

(٥٦) ويل وايريل ديو رانت . قصة الحضارة . ترجمة محمد بدران ، دار الجيل للطبع والنشر والتوزيع - بيروت . والمنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم . تونس . ٢١/١٣، ٢٢)

(٥٧) سورة الأنفال /٣١)

(٥٨) أبو علي الفضل بن الحسن .الطبرسي مجمع البيان في تفسير القرآن . ٦٦٦/٤.

Modern Trends in Quran Study

ies for Orientalists - The Science of Interpretation as a Model

Assistant Professor Dr. Abdul Razzaq Rahim Sallal

College of Arts . Basra University.

Abstract

The recent trends of the Western Oriental school in the study of interpretation are almost united by their adoption of deviant trends throughout the course of the history of this science. Forgetting to mention their use of a strange approach to the science of interpretation that they deduced from their studies of the Bible, in an attempt by them to drop it on the verses of the Noble Qur'an. On the one hand, they ignore the vast gap between the Qur'anic texts. On the other hand the Biblical and the Gospels are only oral narrations of historical, religious and social events that the Book of the Four Gospels wrote in temporal periods far apart from the era of revelation. Therefore, it is not possible to use a method whose tools do not coincide with sacred and other unholy texts. Also, their interpretation of the texts of the Noble Qur'an - fractions, verses, and words - indicates ignorance of the Arabic language and its history. With their reliance on odd sources and narrations without the approved original sources, which led them to fallacies and suspicious doubts aimed at undermining the scientific truth and objective honesty that a fair researcher should possess.